

# التنوع الثقافي الشعبي في الجزائر.. ثروة هائلة مهددة بالضياح

## البلد الأكبر عربيا وأفريقيا ومتوسطيا يحاول الاستفادة من قواه الناعمة



### من الضروري ترميم التراث الثقافي

رؤية وإستراتيجية متكاملتين نابعتين عن حس ثقافي ووعي فني، مع إدراك مدى أهمية التركيز على الثقافة والفن وإحياء التراث بوصفها عناصر أساسية لتعزيز الانتماء الوطني، وترسيخ الهوية، وتحقيق التنمية الثقافية المنشودة.

لقد أثبت الواقع العلمي الثقافي والاقتصادي أن الاهتمام بموضوع الثقافة الشعبية ليس ظرفيا وليس غربيا، بل هو ضرورة ملحة تفرضها إشكاليات الأصالة والمعاصرة وإشكاليات البحث في الهوية وفي التاريخ الاجتماعي الثقافي الشعبي. الظاهر أن الحكومة الجزائرية "الجديدة" أدركت أخيرا أن الثقافة لبنة مهمة في تحقيق التعايش والتنوير ومقاومة التطرف إضافة إلى الإنعاش الاقتصادي، لذا تتوجب رعايتها وحماية مكوناتها وكذا رموز الثقافة الجزائرية، ولكي لا تبقى الثقافة قطاعا جامدا لا بد من التعجيل بوضع الثقافة في السياق الاقتصادي.

واختارت وزارة الثقافة والفنون شعار "ثقافتنا في وحدتنا وتنوعنا" عنوانا للدخول الثقافي الجديد، وهو ما يعكس وجود اقتناع لدى هذه الحكومة بضرورة التفتيش الاقتصادي للتراث الثقافي من أجل ضمان التنمية لفائدة الأجيال الحالية والقادمة، من خلال ربطه بالسياحة المستدامة.

كما ينتقد سرحان أداء الإعلام الجزائري ويصفه بـ"الضعيف" ولا يهيمه التوجه بمحتواها إلى متلق خارج الحدود، مبرزا أن عامل اللغة الغربية عن الشعوب الأخرى يصبح عائقا بينما لا توجد أدوات الترويج.

ويستطرد قائلاً "اللغة إذا كانت معروفة تسهل على الشعوب الأخرى التفاعل مع الإنتاج الثقافي حتى لو لم تكن هناك سياسة محكمة وبرامج الترويج. وفي النهاية الثقافة بشكل عام هي أداة للقوة الناعمة للحضارات والدول وهذا ما لا تعمل عليه الجزائر".

يتحدث مراد بن عيسى، مدير دار الثقافة "أحمد رضا حوحو" بمحافظة سكرة جنوبي الجزائر، عن الحياة الثقافية فيصفها بـ"مظاهر التفكير النواحي الحضارية كالعلوم والفنون والآداب، ولكون هذه المظاهر الثقافية والفنون المختلفة هي المرآة العاكسة لوضع المجتمعات ووسيلة في ذات الوقت لتنميتها وإزدهارها من خلال طرح أفكار جديدة لتحسين شروط الحياة من خلال محاكاة الواقع والمحاولة الجادة للسمو عنه، وإعلاء قيم الجمال والرفق". وينوه بن عيسى إلى أنه كان لزاما عليهم كمسؤولين البحث عن سبل جديدة لجزائر جديدة ورسم ملامح

"مربحة"، مع ترسيخ البعد المتعلق بالحفاظ على التراث الوطني المادي واللامادي وحمايته وترقيته وتوفير كل العناية المطلوبة له.

### أداة للقوة الناعمة

على ربوع مدن الجزائر تتوزع ثروات غير مستغلة لا تقدر بثمن، لم تعرف قيمتها

على ما يبدو السلطة والجزائريون الذين أهملوا الموروث الثقافي الذي لا ينضب لصالح الاهتمام أكثر بالجوانب المادية. يؤكد إبراهيم سرحان -وهو إعلامي مهاجر- أن تسويق الثقافة الشعبية جزء من تسويق السياحة، مشيرا إلى أن هذا المفهوم غير مدرج في أولويات الجزائر، فالحكومات المتعاقبة غارقة في أولويات أخرى لذلك دائما نرى وزير الثقافة أو السياحة شخصا غير مهم في أداء الحكومة، ويمكن أن يظل في منصبه لسنوات دون تغيير ودون أدنى إيجاب.

ينبه سرحان إلى أن تسويق الثقافة الشعبية في العالم يعتمد على الإنتاج وعلى مهرجانات دورية يتم الإعتناء بها مع الحرص على أن تمثلها وجوه ذات قدرة على ترك تأثير في الخارج، وهو ما لا تتحده الجزائر حتى الآن، يضاف إلى ذلك ضعف المنصات التي يمكن أن توفر محتوى هذه الثقافة.

لكن الحكومة الأولى للرئيس الجزائري الحالي عبدالمجيد تبون، والتي يقودها رئيس الوزراء عبدالعزيز جراد، تحاول أن تتأني بنفسها عن ممارسات ومعتقدات الماضي، حيث أكدت على اقتناعها بأن الاعتراف بكامل التراث الثقافي واللغوي للشعب الجزائري من شأنه أن يحافظ على

الوحدة الوطنية ويعززها. وأدرجت هذه الحكومة ضمن مخطط عملها محورا ذا أولوية ويصب في هذا الاتجاه من خلال ترسيخ وترقية وحماية مكونات الهوية الوطنية المتمثلة في الإسلام واللغة العربية واللغة الأمازيغية، وتوطيد ارتباط الشعب الجزائري بتاريخه وثقافة أسلافه العريقة.

ويقوم مخطط الحكومة على مسعى يرمي إلى دعم ومرافقة الإبداع الفني والمشاريع الثقافية من خلال توفير فضاءات موجهة إلى المجالات الصناعية المهملة والفضاءات الحرة للفنانين والمبدعين، كما يعمل على تنمية مهنة الفنان وجميع الفاعلين في الثقافة وترقية دورهم ومركزهم الاجتماعي. وتستهدف الحكومة جعل جميع قدرات الهياكل الأساسية المتصلة بالإشعاع الثقافي ذات مردودية واستخدامها على النحو الأمثل على غرار قاعات العرض والمسارح وقاعات السينما والمتاحف، بما يحولها إلى مؤسسات اقتصادية

تعتبر الثقافة الوسيلة الأولى والأهم لتحقيق التقدم لأي بلد كان، فمن خلالها يمكن تحقيق التعايش واللحمة الاجتماعية، وكذلك غرس قيم الفكر النير ومقاومة التعصب والعنف، هذا إضافة إلى الأبعاد الجمالية، علاوة على البعد الاقتصادي الذي يمكن للثقافة تحقيقه، حيث لا تكفي بكونها قطاعا جامدا بلا مردودية. وهذا ما تسعى الجزائر إلى تحقيقه.

الجزائر - على الرغم من اتساع المساحة والتنوع الجغرافي وعمق التاريخ وتعدد الحضارات الذي حبيت به الجزائر، ما جعلها من أكثر الدول تنوعا في إنفيا وثقافيا، مقارنة بدول جارة مثل تونس والمغرب، ظل الاهتمام بهذا التنوع الثقافي الشعبي محتشما إن لم نقل منعما، بشكل ضيعت فيه الجزائر موردا هاما على الصعيد الثقافي والعلمي، وأيضا على الصعيد السياحي والاقتصادي.

كما تزخر الجزائر أيضا بمعالم تاريخية لا تعد ولا تحصى وتحف أثرية نادرة في العالم تبرز مختلف الحضارات التي تعاقبت على الجزائر منذ فجر التاريخ وحتى عيانات من الحضارة الفرعونية والإغريقية، يمكن أن تكون قبلة للملايين من السياح التواقين إلى استكشاف علاقة الإنسان بالبحر واليابسة على مدار الألف السنين، وما قد يدره ذلك على البلاد من إيرادات قد لا تقل عن مستويات مبيعات النفط والغاز وحتى الإنتاج الزراعي.

### الواقع العلمي الثقافي والاقتصادي أثبت أن الاهتمام بموضوع الثقافة الشعبية ليس ظرفيا بل هو ضرورة ملحة

ويجمع المختصون والباحثون على أن موضوع الثقافة الشعبية في الجزائر يتعدى طرح الاكتشاف الفولكلوري الفضولي القائم على الفرحة بالمناورات الشعبية والحرف التقليدية والإبداعات الشعبية. كما يتعدى مستوى الاستغلال السطحي والممارسات الشعبية الضيقة.

### السلطة والتراث الثقافي

هناك بعض المحاولات لتلافي بعض المشاريع التي بقيت بلا فاعلية، ومنها تأسيس "معهد الثقافة الشعبية" في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، حيث افتتحت الجامعة الجزائرية هذا المعهد بمدينة تلمسان غربي البلاد، ووقدناك وصف الأستاذ محمد سعدي هذا الحدث غير المسبوق بأنه ترجمة لبدائية نهضة الجامعة الجزائرية وتجديدها وتجريبها من تلك القيود الأيديولوجية والإتينية الضيقة التي حرمتها من الاستفادة من علوم كثيرة من جهة، ومن جهة أخرى اغضت عينيها وتجاهلت العديد من الموضوعات

## 40 فنا من مختلف أنحاء العالم يحاورون «كوفيد» في الإمارات

حوارات وجولات وورشات فنية، ويجري تقديم فعاليات مباشرة في موقع إقامة المعرض وعبر الإنترنت. هذا ويفتح المعرض أبوابه للدخول مجانا بين الساعة 10 صباحا و8 مساء كل يوم ما عدا الجمعة والعطلات الرسمية.

### الأعمال الفنية تجسد ما مر به الفنانون والمصممون أنفسهم من تجارب الحب والخسارة والتأمل والقوة الجماعية والتجريب

ونذكر أن مركز "تشكيل" أسسته لطيفة بنت مكتوم بدوي في عام 2008 وهو يوفر بيئة حاضنة لتطور الفن المعاصر والممارسة التصميمية المتواصلين في الإمارات. ويفسح المركز المجال أمام الممارسة الإبداعية والتجريبية والحوار بين الممارسين والمجتمع على نطاق واسع إذ يوفر الاستوديوهات متعددة التخصصات، ومساحات العمل والمعارض.

واعتبرت باليتشغاف أن معرض "حوارات كوفيد" يمثل "أرشيفا يجمع دلالات القدرة على التعبير والاستكشاف والصمود"، معربة عن "امتناننا العميق لجميع الذين قدموا أعمالهم للمعرض ويشرفنا أن العديد من أعضاء المجتمع الإبداعي في الدولة شاركوا بتجاربهم مع الجائحة".

وتضم قائمة الفنانين المعارضين أسماء عديدة من أبرزها بشرى المتوكل، وسعيد المدني، وسوسن البحر، وأنا اسكوبار، وديجاني باردواج، وإشراق بوزيدي، وخالد البناء، ومايكل رايس، وعزة القبيسي، ونوف الجضمي، وعلي الداوي، وجيه هي كيم، وبيكي بيير، والتماش أروج، وستيفاني نيفيل.

ومن المقرر في المعرض عرض الأعمال الفنية المكتملة التي يجري العمل عليها، بجانب أية نتائج تجريبية أو بحثية جرى الحصول عليها منذ مارس 2020، عندما فرضت أولى القيود على الحركة في دولة الإمارات. ويقام معرض "حوارات كوفيد" في مركز تشكيل بمنطقة ند الشبا 1 في دبي، ويصاحبه برنامج تفاعلي يتضمن

هذه المحنة العالمية". وأضافت "وقع الاختيار بعد مداولات مستفيضة على أعمال منتخبة وجدنا أنها تظهر بوضوح قدرة البشرية على الصمود والتغلب على التحديات. وتجسد هذه الأعمال ما مر به الفنانون والمصممون أنفسهم من تجارب الحب والخسارة والتأمل والقوة الجماعية والتجريب، وذلك عبر مجموعة من الوسائط التي تحتفي بأهمية التعبير الإبداعي وقوته في أوقات الأزمات".

وتقدم 162 الفنانين والمصممين المبدعين المقيمين في دولة الإمارات بطلبات المشاركة في المعرض، وتم تقديم طلبات مختلف التخصصات. وتم تقديم طلبات المشاركة عبر البريد الإلكتروني إلى غاية يوم الجمعة 23 أكتوبر.

ووقع الاختيار على 40 فنا تمثل أعمالهم الفنية انعكاسا للبيئة ذات التنوع الثقافي الواسع في دولة الإمارات. وينتمي الفنانون إلى بلدان بينها الإمارات وتونس واليمن والمغرب ومصر والعراق وسوريا وإيران وباكستان والهند والمكسيك وكولومبيا والبرازيل وبريطانيا وإيرلندا وفرنسا وإسبانيا وأمريكا وكندا وكوريا الجنوبية وجنوب أفريقيا.

واعربت ليسا باليتشغاف -نائب مدير مركز تشكيل- عن شعور المركز بالفخر والتواضع جراء ما وصفته بـ"الاستجابة المذهلة" التي تلقاها من مجتمع الفن والتصميم في دولة الإمارات للدعوة المفتوحة إلى المشاركة في معرض "حوارات كوفيد"، معتبرة هذه الاستجابة "شهادة على اتساع رقعة الإبداع الذي جرى التعبير عنه في مواجهة

منذ مارس 2020، سواء الإيجابي منها أو السلبي.

وكان مركز "تشكيل" قد دعا الفنانين والمصممين المقيمين في دولة الإمارات إلى تقديم أعمالهم الفنية التي تجسد طيف المشاعر التي عاشوها خلال فترة "حوارات كوفيد"، كالتعلق والتأمل والارتباك والسكينة والقبول، للمشاركة في هذا المعرض الجماعي.



الفن يمكنه تحدي الجائحة